حديث الرمزية

للدكتور بشر فارس

حديث يأبى أن ينقطع سلكه ، إلاّ أنه منزّه عن الفضول واللغو لطرافته ثم لتنوع مستطرداته . ووراء الأمر ظاهرتان : الأولى انجذاب نخبة من الأدباء والقراء إلى الجديد كأنهم يفطنون أن أعواد بعض أساليب الإنشاء القائمة الآن قد شظفت أي شظفٍ حتى إنها أمست تعجز عن حمل الثمر ؛ أو كأنهم يلمحون في المذهب الرمزي بما قرأوا عنه — قلّ أو كثر — أداة فيها ما فيها من المتانة والاستقامة ، وإن بدت ضرباً من ضروب الافلات من قيود المنطق « الجليل » صاحب السلطان الأعلى في التأليف والتفكير . وأما الظاهرة الثانية فاستعداد القراء لتفهُّم مذهب لا يكاد يتصل بما ألفوه من الأدب العربي الحديث ، فكلنا نشأ على قراءة الهزْل الموضوعي عند الموبلحي ، والتصنع اللفظي عند البكري ، والابتداعية (romantisme حسب ترجمة الأستاذ الزيات) المفرطة حتى الازعاج عند المنفلوطي . ثم قامت بعد ذلك طرائق ، فكانت الطريقة التحليلية الواقعية في مصر ، والطريقة التخيُّلية في المهجر

والظاهرتان دلالة على ارتجاج الذهنية الاتباعية ، وشهادة لارتقاء شأن الاستحداث المطّرِد في الأدب . فأبْشِرْ بهما !

* * *

يقول الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوي في الرسالة (رقم ٢٥٨ — البريد الأدبي) « والرمزية — بعد — في الأدب العربي (المستحدث) في أول الطريق ، فالحديث ذو شجون ولازم على من يشغفون ويوسّعون الطريق لها فيه أن يطيلوا الكلام والابانة عنها للسالكين . وما أحرى الدكتور بشر في هذا المقام . . . أن يوالي مجلة الرسالة الغراء بمقالاته . . . عن الرمزية يوضح طرائقها ويترجم لزعمائها وقادتها ومدارسها منذ نشأتها إلى الآن توطئة لتأليف رسالة عنها بقلمه . . . »

إني أشكر للأديب الفاضل رقة كلامه وحسن ظنه بي . غير أني أرى غير رأيه . فالذي عندي أن المنشئ المنصرف إلى الاستحداث في التأليف يُخرج ما يُخرج ثم يقبل النقاد ينظرون فيه ، ويُطلعون القراء على خصائصه ، ويدنون لهم طريقته إن هي بعدت عما خبروه ، ويسوقون لهم قصتها ، ثم يبرزون لهم انحراف المنشئ من هنا وهناك عن تلك الطريقة إن هو قدر على أن يدسّ فيما يكتب ما يشف عن شخصيته . هذا وإن ظفر إنشاؤه بالقبول وجدرت العناية بطريقته ، قام العلماء بتاريخ الأدب والمتقطعون للبحث في فنونه وأساليبه يؤلفون المقالات والرسائل ، فيدفعون إلى القراء ما غاب عنهم ، ويبذلون لهم ما أشكل عليهم

والذي جرى للرمزية أني ألّفت مسرحية على طريقتها مع شيء من الاستقلال بما نفسي إليه ترفّ وقلمي له ينساق . ثم جاء النقاد فأحست فئة منهم بغرابة الطريقة عن أذهان قراء العربية ؛ فاستهل الأستاذ صديق شيبوب النقد بالكتابة في الرمزية (جريدة البصير) ، وأردف الأستاذ الفنان زكي طليمات النقد ببحث لطيف فيها قائم برأسه (مجلة الرسالة) ، ونشر الأستاذ أبو شهلا التوطئة التي عملتها للمسرحية ذهاباً منه أنها وافية (مجلة الجمهور البيروتية) ، ونوّه بشأن هذه التوطئة الأستاذ الأب الكرملي والأستاذ الصيرفي (في المقتطف) والدكتور زكي حسن (في الأهرام) والأستاذ كامل محمود حبيب (في المقطم) والأستاذ ادجار جلاد في (Le Journal d'Egypte) ، ثم نبه الأستاذ نجيب شاهين إلى اتصال الرمزية بالتصوف وخروجها عن الوضوح التام (في المقطم)

ثم فزّ أحد من المتخرجين في كلية الآداب للجامعة المصرية ومن طلبة العلم في « جامعات فرنسا » ، وإذا هو يؤلف مقالة عجيبة قد بين مبلغ اضطرابها الأستاذ محمد فهمي في مجلة الرسالة (رقم ٢٥٦)

والرأي إذن أن للمنشئ عملاً وللناقد عملاً وللعالم ثالثاً ؛ غير أن المنشئ ربما حق عليه أن يؤلف المقالة أو الرسالة في الكتاب الذي يخرجه دفاعاً عنه أو توضيحاً له ، وذلك ما أقدمت عليه في مجلة الرسالة يوم آنست من جانب النقاد ميلا إلى إدراج الرمزية المستحدثة التي في « مفرق الطريق » في الرمزية الأولى إدراجاً لا استدراك فيه ، فشرحت يومئذ خاصية الرمزية التي في مسرحيتي وميزتها في تفاصيلها من الرمزية الأولى

(البقية في ذيل الصفحة التالية)